مَفْهُومُ وَمِصْداقُ (السَّابِقُونَ) فِي سُورَةِ الوَاقِعَةِ

أ. فتح الله نجار زادگان أ.م. روح الله شهيدي خديجة جعفري

جامعة طهران - جمهورية ايران الاسلامية

فحوى البحث

في الوقت الذي لا يوجد فيه غموض في فهم معنى كلمة (السابقون)، الا أن الروايات التي جاءت بصدد تفسيرها وبيان مصاديقها الخارجية والمعنيين بها، مختلفة و متباينة مما ادى الى اختلاف المفسرين على اختلاف مذاهبهم فيها.

وقد جاء البحث بعرضٍ لكل الآراء والروايات في هذا الصدد وأجاب عن كثير من الاسئلة بخصوص إمكان انحصار المعنى في فئة معينة أم انها تأخذ صفة الشمول والسَّرَيان على كل من يمكن أن يقف تحت ظل معناها... وهل يمكن الجمع بين الروايات أم لا مناص من اتباع إحداها... وسنرى ذلك من خلال الخلاصة التي خُتم بها البحث.

ممّا لا شك في أنّه ومن أجل التوفّر على فهم أفضل وأكثر دقّة لمعاني القران الكريم ومقاصـــده سنحتاج الى فهم صحيح للمفردات القرآنية ومصاديقها الحقيقيـة. ومفردة "السابقون" في سورة الواقعة، هي إحدى هذه المفردات التي نحتاج للوقوف عندهـا لفحص معناها وتحديد مصداقها.

بـدءً، يمكن القول أنّـه لا إبهـام أو غـموض في هـذه المـفـردة مـن الناحية اللغوية أو من حيث المفهوم، ولكننا نجد أنّ الـروايـات الـواردة تنوّعت في تفسير مصاديـق هذا المفهوم وشخوصه الخارجيـــة وكذلك اختلفت تبعاً آراء المفسرين فيه؛ فهل هم الأنبيـاء جميعا؟. أو هو منحصر في الرسول الاكـرم، أو الإمام علي فقط؟. أو بخصوص الأئمة والسابقون في الإيمان والعمل؟.

ومن هنا.. فان دراستنا هذه تعنى بـالـروايـات والآراء المتباينة في تفسير ذلك مستعينة بالآيات القرانية الأخرى، لاسيّما المفردات المشابهة والتي تشترك في المعنى مع كلمة السابقون من قبيل كلمة "المقرّبون"، وعلى ضوء ذلك تم الوصول الى النتيجة التالية، وهي: أن مصداق هذه المفردة هم فقط المعصومون وأولياء الله، وأما الروايات والأقـوال الأخـرى التي تحدثت عن غير ذلك فهي أما ان تكون قد فسّرت المفردة بلحاظٍ تاريخي وزماني، أو أنهـا مـيّـزت السابقين عـن غيرهم بالمعتقدات والسجايا والخصال.

المـفـردات الأسـاسـيـة: السابقون، المـقـرّبـون، سـورة الـواقـعـة، الـروايـات التفسيرية.

بيان إشكالية البحث:

اتفق علماء اللغة على أن أصل كلمة "سَبْق" يعني "التقدم" (الفراهيدى، ج٥، ص٨٦؛ ابـن فـارس، ج٣، ص١٢٩؛ الـراغـب الاصفهانى، ص٣٩٥؛ ابن منظور، ج١٠، ص١٥١؛ المصطفوى، ج٥، ص١٤١)، واستعملت كلمـــة (الـسَـبْـق) في الـقـران الـكـريـم بصيغة المـاضي: «سَـبَـق»، كـما في (الأعـراف/ ٨٠؛ الأنـفـال، ٦٨؛ هـود/ ٤٠؛ طه/ ٩٩؛ المؤمنون/ ٢٧؛ العنكبوت/ ٢٨.. وبصيغة: «سَـبَـقَـت»، كما في (يونس/

١٩؛ هود/ ١١٠؛ طه/ ١٢٩؛ الانبياء/ ١٠١؛ الصافات/ ١٧١؛ فصلت/ ٤٥؛ الشورى/ ١٤). وبصيغة «سَبَقوا»، كما في (الأنفال/ ٥٩؛ الأحقاف/ ١١؛ الحشر/ ١٠). وبصيغة المضارع «يسبقون»، كما في (الأنبياء/ ٢٧؛ العنكبوت/ ٤). وبصيغة: «تسبق»، كما في (الحجر/ ٥؛ المؤمنون/ ٤٣). وبصيغة: «استبَقا»، كما في (يوسف/ ٢٥). وبصيغة: «استبِقوا»، كما في (البقره/ ١٤٨؛ المائده/ ٤٨). وبصيغة: «سابقوا»، كما في (الحديد/ ٢٠). وبصيغة: «سابق»، كما في (فاطر/ ٣٢؛ يس/ ٤٠). وبصيغة: «سابقات» كما في (النازعات/ ٤). و«السابقون» كما في (التوبه/ ١٠٠). و«سابقون» كما في (المؤمنون/ ٦١). و«سابقين» كما في (العنكبوت/ ٣٩).

فنلاحظ في كل هذه الاستعمالات القرآنية كان معنى التقدّم والسَّبق منظوراً فيها.

من هنا فلا يوجد غموض أو إبهام في مفردة "السابقون " من ناحية المفهوم والمعنى، إلا أنّ الروايات التي جاءت بصدد تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ وبيان مصاديقها الخارجية وشخوصها، جاءت مختلفة ومتباينة في بعض الأحيان، وأدى ذلك إلى اختلاف مفسّري الفريقين في رؤيتهم لتلك الروايات أو القرائن الأخرى مما تمخض عن آراء وتفاسير مختلفة، فتارة تحصر هذه المفردة بمصاديق معيّنة بحسب مزايا خاصة، وأخرى تشمل كل من له سابقة في طريق الطاعة الإيمان.

ومن أجل الاقتراب أكثر من مقصود هذا الاصطلاح وغرضه ينبغي البحث في قواعد الرؤى التفسيرية والتحرّي عن المعاني المستعملة في الروايات التي جاءت شارحة لهذه المفردة. فهل يظهر من تلك القواعد انحصار معنى كلمة "السابقون" بمصاديق معينة؟. أم إنّ المراد منها هو الشمول والسريان لفئة واسعة من المصاديق؟. و بعد ذلك هل يمكن الجمع بين هاتين الرؤيتين أم لا مناص من اتباع واحدة منها؟. وما هي الانتقادات والملاحظات التي يمكن أن توجه إلى الأدلة التي اعتمد عليها

المفسرون، وكيف يمكن الاتيان بقرائن وأدلة أخرى -والتي من الممكن ان تسهم في استيضاح هذا الاصطلاح -لم يكن المفسرون قد التفتوا إليها؟. وغير ذلك من الأسئلة التي سوف يتناولها هذا البحث ويجيب عنها.

وتجدر الإشارة إلى أن ملاحظة الموضوعات الأساسية في سورة الواقعة والمضامين التي تحدثت عنها يمكن أن تظهر ضرورة هذا البحث بشكل أوضح.

المقدمة:

تتحدث سورة الواقعة عن القيامة والعالم الآخر مقابل الإنكار والشك الذي كان يظهره المشركون، وربما يكون اسم هذه السورة المكّية حاكيا عن ذلك، وتخبرنا هذه السورة في مطلعها أيضا عن الوقوع الحتمي ليوم القيامة وتبين لنا بعض الأحداث الكونية التي ترافق ذلك اليوم من قبيل زلزلت الأرض وتفتت الجبال، وتستعرض لنا بعد ذلك إزاء هذا الحدث العظيم تنويع الناس إلى ثلاث فئات بشرية تبعاً لحال الناس عند وقوع ذلك اليوم، وهذه الفئات هي: السابقون، وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال (الواقعة: ١ -١٠).

وتتحدث هذه السورة بعد ذلك عن خصائص ومزايا كل فئة من تلك الفئات، حتى يظهر مصير المكذِّبين بذلك اليوم، ومصير إيمان المؤمنين به (الواقعة: ١١ -٥٦).

ويبدو من خلال الآيات اللاحقة لذلك عظمة ابتداع الخلق وطبيعة الزرع والنبات وإتقان خلق المخلوقات المحسوسة الأخرى في الطبيعة من قبيل الماء والنار والهواء الذي تتجلى فيه عظمة وبهاء الخالق في هذه النشأة، وتمضي السورة في الحديث عن قدرته تعالى في إحياء الموتى يوم القيامة (الواقعة: ٥٧-٧٤).

وفي السياق الذي تقص لنا هذه السورة طبيعة إنكار المشركين حقانية ذلك اليوم والشك الذي يظهروه إزاء ذلك، تتطرّق أيضا إلى هوية القرآن الكريم وسلامته من الخطأ والتحريف (الواقعة: ٧٥ -٨٢).

وتختتم هذه السورة آياتها بتوصيف

حالة الاحتضار وتقريب حقيقة سكرات الموت كإحدى مقدمات وقوع القيامة (الواقعة: ٨٥ -٩٦). (الطباطبائي، ج١٩، ص١١٥؛ سيد قطب، ج٦، ص٣٤٦١ -٣٤٦٢؛ مكارم الشيرازي، ص١٩٤ -١٩٣).

ويظهر من خلال ما تقدم أن موضوع اختلاف وانقسام الرؤية البشرية إزاء يوم القيامة والتصديق به قد حظي بأهمية كبيرة في هذه السورة، حتى أن ما يقارب نصف آياتها قد انصبّ حول هذا الجانب، ومن أهداف هذه الدراسة أيضا هو تسليط الضوء على أهمية هذه السورة الكبيرة، وهي خطوة في بيان وتفصيل بعض أهدافها ومقاصدها.

الأقوال والأراء المختلفة:

ذكرت بعض الروايات وكتب التفسير الشارحة لكلمة «السابقون» جملة من المصاديق وفيما يلي بيانها:

١. الانبياء:

نقل عن الامام الصادق عليه السلام أنّ معنى السابقون هم الأنبياء سواء كانوا رسلا أم لا (الصفّار، ص٤٤٨، الكليني، ج٢، ص٢٨٢؛ ابن شعبه الحراني، ص١٨٩) والامام علي عليه السلام (الصفّار، ص٤٤٩، البحراني، ج١، ص٥١٣؛). وقد نقل هذا المعنى أيضا في روايات أهل السنة عن محمد بن كعب القرظي وأبو حرزة ويعقوب بن مجاهد (ابن كثير، ج ٨، ص٦).

٢. الانبياء والاوصياء:

جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أن قوله تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ نزل في الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام. والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله هو أفضل الأنبياء والرسل، والإمام علي عليه السلام هو أفضل الأوصياء (الهلالي، ج٢، ص٦٤٢ -٦٤٣، ٧٥٧، الصدوق، كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٢٧٦، البحراني، ج٢، ص ٢٤١). وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله الجعفي أن المراد من السابقين هم رسل الله وخاصة خلقه (الصفّار، ص٤٤٦، فرات الكوفي، ص٤٦٥؛ الكليني، ج١، ص٢٧١، البحراني، ج٥، ص٢٥٣). ومعنى "خاصّة خلق الله" التي وردت

في الحديث هم الأوصياء كما ذكره بعض الشارحين له (المجلسي، ج٣، ص١٦٦) وهو ما يظهر من عنوان الباب التي ذكر في ذيله هذا الحديث[١].

بناء على ذلك ذهب بعض المفسرين أيضا أن معنى السابقين هم الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام (الطيب، ج١٢، ص٣٥٩؛ القرشي، ج١٠، ص٥١٣)[٢].

٣. النبي محمد صلى الله عليه وآله:

في حديث نقل عن حذيفة ابن اليمان اعتبر فيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو أفضل أصحاب اليمين وسيدهم وهو أسبق السابقين وأولهم (القمي، ج٢، ص٣٤٧؛ البحراني، ج٥، ص٢٥٢) و ابن عباس (الصدوق، الامالي، ص٦٣٠، الحسكاني، ج٢، ص٤٩؛ الحسيني الاسترآبادي، ص٥٨٧؛ البحراني، ج٤، ص٤٦٧؛ ج٥، ص١١٤، ٢٥٥، ٢٥٧، الثعلبي، ج٨، ص٢٤٤؛ السيوطي، ج٥، ص١٩٩).

٤. النبي محمد وآله:

بيّن الإمام الصادق عليه السلام مصاديق السابقين فقال: إنهم رسول الله صلى الله عليه وآله والسيدة خديجة عليها السلام، والإمام علي عليه السلام وذريته. (القمي، ج٢، ص٤١١-٤١٢؛ البحراني، ج٥، ص٦٠٩).

٥. النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والامام علي عليه السلام فقط:

في رواية اخرى جاءت عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الله جعل علياً معه في زمرة «السابقين» (فرات الكوفي، ص٤٦٥).

٦. الامام علي عليه السلام:

اعتبر الامام علي أنّ الاية الكريمة نزلت فيه. (الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٦١؛ الطوسي، الامالي، ص٥٤٩؛ البحراني، ج٤،

(١) عنوان الباب في بصائر الدرجات «باب ما جعل الله في الأنبياء و الأوصياء والمؤمنين و سائر الناس من الأرواح وأنّه فضل الأنبياء و الأئمة من آل محمد بروح القدس و ذكر الأرواح الخمس» و في الكافي «باب فيه ذكر الأرواح التي في الأئمة».

(٢) واستدل القرشي مضافا إلى الاعتماد على ما ذكر في الرواية استدل أيضا بقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ على اعتبار أن تحقق صورة انحصار المصاديق بالأنبياء والأوصياء هو الذي سيصحح تفسير قوله تعالى (قليل..) في الامّة المسلمة.

ص١٦؛ ج٥، ص٣٤٣).

وقد نقل عن الامام الحسن عليه السلام أنّ أباه هو اسبق السابقين الى الله ورسوله (الهلالى، ج٢، ص٩٣٦؛ الطوسى، الأمالى ص٥٦٣، البحرانى، ج٢، ص٨٢٩؛ ج٤، ص٤٥٥).

ونقل عن ابن عباس أنّه قال في الامام علي عليه السلام ذلك ايضا (فرات الكوفى، ص٤٦٣؛ الحسكانى، ج٢، ص٢٩٦؛ ابن شهر آشوب، ج٤، ص٥، الحسينى الاستر آبادى، ص٦٢٠؛ البحرانى، ج٥، ص٢٥٧) او انه في زمرة السابقين (فرات الكوفى، ص٤٦٤، الحسكانى، ج٢، ص٢٩٦). واعتبر الأسدي أن الآية نزلت في علي ابن ابي طالب عليه السلام (الحسكانى، ج٢، ص٢٩٥).

٧. الامام علي عليه السلام والشعية:

ورد عن ابن عباس عن رسول الله أنّ جبرائيل قال له: علي وشيعته هم السابقون الى الجنّة (المفيد، ص٢٩٨؛ الطوسى، الامالى، ص٧٣، الحسكانى، ج٢، ص٢٩٥، الطبرى، بشارة المصطفى، ج٢، ص٧، ٨٩، البحرانى، ج٥، ص٢٥٣).

٨. الائمة:

جاء في بعض الروايات أنّ مصداق كلمة «السابقون» هم الائمة عليهم السلام (الكلينى، ج١، ص٤١٩، ابن شهر آشوب، ج٤، ص٢٨٤، ٣٣٠؛ البحرانى، ج٥، ص٥٣١).

٩. السابقون إلى الايمان بالانبياء والأوصياء في الامم المختلفة:

نقل عن الامام الصادق عليه السلام أن السابقين من الاولين هم هابيل وقابيل ومؤمن ال فرعون وحبيب النجار، ومن الآخرين علي ابن ابي طالب عليه السلام (فرات الكوفى، ص٤٦٥-٤٦٦؛ الحسينى الاستر آبادى، ص٦٢٠؛ البحرانى، ج٥، ص٢٥٦). وعن ابن عباس أنهم يوشع بن نون وشمعون أو صاحب يس وعلي ابن ابي طالب (الحسكانى، ج٢، ص٢٩٧؛ الحسينى الاسترآبادى، ص٦١٩؛ السيوطى، ج٦، ص١٥٤؛ ابن كثير، ج٨، ص٦.) او يعتبر السابقين هم حزقيل ومؤمن آل فرعون وحبيب النجار والامام علي وهو أفضلهم. (فرات الكوفى، ص٤٧٧؛ الحسينى

الاسترآبادى، ص٦٢٠؛ البحرانى، ج٥، ص٢٥٦ -٢٥٧).

١٠. السابقون في الايمان من الأمم والاعراق المختلفة:

جاء في كتب الجمهور عن النبي محمدﷺ أنه سابق العرب، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبشيين، وصهيب سابق الروميين (السيوطى، ج٦، ص١٥٤).

١١. أهل القران:

يرى كعب ان المراد من السابقين هم أهل القران، وهم يوم القيامة تاج على الرؤوس (الثعلبى، ج٩، ص٢٠٢).

١٢. أهل علّيين:

ونقل السدّي ان المراد من السابقين هم أهل عليين (ابن كثير، ج٤، ص٣٠٤) ويبدو أنه بعد ان ظمّ تفسير قوله تعالى من آيات [سورة المطففين ١٨ -٢١]: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ وتوصيف السابقين بالمقربون توصل الى النتيجة المتقدمة.

١٣. كل من تقدّم في الايمان والعمل:

ذهب الى هذه الرؤية أكثر المفسرين، وتجلّى ذلك منهم مرة بشكل كلّي من خلال أن المراد من السابقين هم المتقدّمون في الايمان والعمل (القرشى، ج١٠، ص٥٠٩؛ البيضاوى، ج٥، ص١٧٨؛ حقى البروسوى، ج٩، ص٣١٨؛ الزحيلى، ج٢٧، ص٢٤٤)، ومرة أخرى يصرحون أنّه يمكن أن يكون المقصود من السابقين كل من تقدم من كل أمة من الأمم. (الطبرسى، جوامع الجامع، ج٤، ص٢٣٠-٢٣١؛ مكارم الشيرازى، ج٢٣، ص٢٠٤-٢٠٥، المدرسى، ج١٤، ص٤٠٩). ومرة ثالثة يذهبون إلى أن المقصود من السبقة هي السبقة في العقيدة والإيمان، والسابق هو السابق في الإيمان (الثعلبى، ج٩، ص٢٠٢) أو في المسارعة في الاستجابة للرسول من الأمم والشعوب المختلفة (البلخى، ج٤، ص٢١٦؛ الطبرى، جامع البيان، ج٢٧، ص٩٨؛ الثعلبى، ج٩، ص٢٠٢، ابن الجوزي، ج٤، ص٢٢٠).

ويطلق أحيانا على جملة من الاعمال

التي تؤدي الى تحقق السبقة في الايمان كالصلاة باتجاه القبلة. (الطبرى، جامع البيان، ج٢٧، ص٩٩؛ الثعلبى، ج٩، ص٢٠٢؛ ابن كثير، ج٨، ص٦) من هنا أكد بعض المفسرين في بيان مفردة "السابقون" على السبقة في أداء الطاعات والعبادات (ابن حيّان، ج١٠، ص٧٩؛ القرطبى، ج١٨، ص٢٠٠)، وفي بعض الأحيان يتعرضون لذكر الاعمال التي تؤدي للسبقة في نماذج عينية محسوسة، بل وأي سلوك يوصل الانسان الى رضا الله وطاعته. (الثعلبى، ج٩، ص٢٠٢؛ الثعلبى، ج٤، ص٤٥٧)، والمسارعة في اداء كل عمل يثمر عنه رضا الباري تعالى حتى لو لم يبلغ درجة الامر والنهي (فضل الله، ج٢١، ص٣٢٨ -٣٢٩)، وكذا السبق في اتباع الانبياء (الطوسى، التبيان فى تفسير القرآن، ج٩، ص٤٩٠؛ الطبرسى، مجمع البيان، ج٩، ص٣٢٤-٣٢٥)، والسبق الى الخير (الثعلبى، ج٩، ص٢٠٢، الطباطبائى، ج١٩، ص١١٧-١١٦؛ مغنيه، ج٧، ص٢٢٠ -٢٢١؛ ابن عاشور، ج٢٧، ص٢٦٥ -٢٦٤؛) والمواظبة على عمل الخير من سنين مبكرة والمحافظة على ذلك (الثعلبى، ج٩، ص٢٠٢.) والمسارعة الى التوبة والاعمال الصالحة (المصدر السابق) والسبق الى كل ما دعى اليه الباري تعالى (المصدر السابق) والمسارعة الى المسجد والخروج في سبيل الله (الطبرى، جامع البيان، ج٢٧، ص٩٩؛ الثعلبى، ج٩، ص٢٠٢، ابن كثير، ج٨، ص٦-٧؛ السيوطى، ج٦، ص١٥٤) والدخول الى المسجد قبل الآخرين والخروج منه بعد خروج الاخرين (السيوطى، ج٦، ص١٥٤) والسبق الى الجهاد (الثعلبى، ج٩، ص٢٠٢). والسبق في الهجرة (المصدر السابق).

ويتوقع أن هذه التفاسير تحاكي الاستعمالات الاخرى لمفردة "السابقون" في القران الكريم من قبيل ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ... ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠]، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[سورة المؤمنون: ٦١] و ﴿ ثُمَّ

﴿أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ..﴾ [سورة فاطر: ٣٢].

هذا ولكن وبعد ملاحظة كثرة الروايات التي حددت «السابقون» بفرد معين أو أفراد مخصوصين، اعتبر بعض القائلين بالرأي الاخير أن هذه الروايات جاءت لبيان بعض المصاديق والنماذج (الطباطبائي، ج١٩، ص١١٦-١١٧؛ الآلوسي، ج٢٧، ص١٣٢) أو المصاديق الواضحة (مكارم الشيرازي، ج٢٣، ص٢٠٤ -٢٠٥) أو العنوان والمصداق الكامل والتام (أبو الفتوح الرازي، ج١٨، ص٢٩٨ -٣٠١؛ الكاشاني، ج٩، ص١٤١؛ بانوي اصفهاني، ج١٢، ص٦٦)[٣].

دراسة وتقييم الاراء المذكورة:

يبدو بعد ملاحظة ما ذكر من الاراء التي دارت حول تفسير وبيان تعيين مصداق مفردة "السابقون" في آية الواقعة أو في الايات الاخرى، (التي غاية ما تشير اليه هو الأمور التي يتسابقون من أجلها، وكذلك استعراض جملة من الروايات الدالة على مصاديق أولائك السابقين) او الروايات التي تعرضت الى المصاديق المختلفة من السابقين، في مثل هذه السياقات الروائية علينا البحث والتحري مرة أخرى في الآيات القرانية، ويبدو أن مضمون نص قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة الواقعة: ١١] الذي يحاكي معنى "السابقون" فيه الكثير من البحث المجدي النافع. فأن محورية واهمية هذا المضمون الذي جاء في اخر سورة الواقعة قد حل محل مضمون "السابقون" ومبينا له، قال تعالى ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [سورة الواقعة: ٨٨ -٨٩].

إذن ومن أجل تحديد مصداق السابقين علينا رسم مكانة ومنزلة المقربين في القران الكريم، ولتحقيق ذلك ينبغي البحث في مقصود الاية الكريمة والأقوال المتعلقة بها أيضا.

(٣) فهؤلاء على الرغم من عدم قبولهم بانحصار مصداق السبق بالامام علي عليه السلام، الا أنهم اقروا أنه كان سابقا في كل ميادين السبق.

لقد ذكرت مفردة "المقربون" ايضا في سورة المطففين، وبحسب السياق والموضوع فهي تنسجم مع ايات سورة الواقعة؛ لأن الآيات في سورة المطففين كانت تتحدث حول موضوع القيامة ووقائعها ايضا.

والمحور الاساسي الذي كانت تدور حوله هذه السورة هو المقارنة بين فئتي الفجّار والأبرار، فتُبين أنّ الفئة الاولى كانت تجحد بيوم القيامة وتقترف الذنوب والمعاصي فسيكون جزاؤها سجين. ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [سورة المطففين: ٧-١٢]) أولائك الذين يسخرون بايات الله حينما تتلى عليهم ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [سورة المطففين: ١٣] وبسبب المعاصي والذنوب صدئت قلوبهم في الواقع، وحال ذلك دون معرفة الحق وتمييزه عن الباطل واختلط عليه الخير بالشر والشر بالخير، وأخيرا سوف يحرمون يوم القيامة من القرب الالهي ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٤-١٥].

وبعد الانتهاء من حكاية قصة الفئة الاولى وهي فئة الفجّار، تبدأ السورة المباركة بالحديث عن الفئة الثانية وهم الابرار: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٨-٢٨].

فهذه الايات تعتبر أن تبوّء الأبرار منزلة علّيين أمر حتمي وهم في تلك المنزلة سينالون أبهى النعم وأحسنها من غرف وأسرة ومناظر خلابة وجميلة في الجنة الواسعة، وسيشرب الأبرر من ألذ وأشهى الاشربة والذي نعتته الاية بـ "تسنيم" وهو شراب ممزوج بأفضل أنواع الشراب، ونشاهد بعد ذلك التعرض

لذكر المقربين أيضا، ومنه نعلم أن منزلة هذه الفئة أعلى واسمى من منزلة الأبرار، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ والعين هنا جاءت لغرض المدح أو الاختصاص، وهي في صدد بيان مفرد "تسنيم"، وبمعنى آخر أن العين المذكورة في الآية عين مميزة وخاصة بفئة محددة، اذن المقربون يشربون من تسنيم، في حين يشرب الابرار من «رحيق مختوم» الذي يحتوي على شيء من شراب "تسنيم"، اذن فالمقبرون أعلى منزلة ورتبة من منزلة ومقام الأبرار (طباطبائي، ج٢٠، ص٢٣٥ و ٢٣٩) ففي الواقع أن التقسيم الثلاثي في سورة المطففين (المقربون والأبرار والفجار) يحاكي ويماثل التقسيم الثلاثي الاخر في سورة الواقعة (السابقون -المفردة التي تماثل المقرّبون -واصحاب اليمين، وأصحاب الشمال).

فضلاً عن ذلك فان (المقربون) سينالون مقام علّيين ايضا (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) (طباطبائي، ج٢٠، ص٢٣٥).

ثم إن الالفتات الى صفات فئة الفجّار يبين الحقيقة التالية، وهي: أن الفجار وبسبب تكذيبهم وشكهم وفجورهم وعصيانهم كانوا محجوبين عن ربهم وخالقهم، ومعلوم أن المقربون لا حجاب على قلوبهم من المعاصي والجهل والشك، الامر الذي يمكن اقتباسه ايضا من قوله تعالى ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[سورة التكاثر: ٥-٧]، من هنا يمكن القول أن المقربين هم أهل اليقين (الطباطبائي، ج١، ص٢٧٣؛ ٤٣٠، ج٢٠، ص٢٣٥).

وفي هذا السياق يقول العلامة الطباطبائي هاهنا حقيقة قرآنية لا مجال لإنكارها، و هو أنّ دخول الإنسان في حظيرة الولاية الإلهية، و تقرّبه إلى ساحة القدس و الكبرياء يفتح له بابا إلى ملكوت السماوات و الأرض يشاهد منه ما خفي على غيره من آيات الله الكبرى، و أنوار جبروته التي لا تطفأ، قال الصادق عليه السلام: لولا أنّ الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لرأوا

ملكوت السماوات والأرض، و فيما رواه الجمهور عن النبي ﷺ قال: لو لا تكثير في كلامكم و تمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى و لسمعتم ما أسمع، و قد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[سورة العنكبوت: ٦٩] و يدل على ذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [سورة الحجر: ٩٩] حيث فرع اليقين على العبادة، و قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[سورة الأنعام: ٧٥] وصف الإيقان بمشاهدة الملكوت، وقال تعالى: ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴾[سورة التكاثر: ٥ -٧] و قال تعالى: ﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ [سورة المطففين: ١٨-٢١] (الطباطبائي، ج٥، ص٢٧١).

من هنا فإن المقربين بعيدون كل البعد عن المعصية والجهل والشك والتردد وهم أهل يقين وثبات، وسيكون السابقون كذلك ايضا، وفي ضوء ذلك فان مصداق "السابقون" سوف يتعين في المعصومين والأولياء الالهيين، ولذا يتضح سبب تأكيد الرواية السابقة على امير المؤمنين بعنوانه مصداقا حقيقيا لكلمة "السابقون"، والمراد من اتباع الائمة هم الذين يقتفون اثرهم ويقتدون بهم في كل شئ، وكيف كان الامر فلا بد من الالتفات الى ان منزلة السابقين ذات درجات ورتب متعددة، كما ان الابرار واصحاب الشمال على منازل ودرجات مختلفة ايضا.

وأما الروايات الاخرى التي جاءت في ذيل الآية فيمكن تقسيمها على قسمين:

الأول: هي الروايات التي تسلط الضوء على عقائد ومتبنيات السابقين، وهنا يجب القول أنّ السبق في ميدان الايمان والعمل (العمل الصالح والصلوات الخمس والذهاب الى المسجد والجهاد في سبيل الله و..) على الرغم من أنّه تجلي لمصاديق خارجية لعمل السابقين، ولكن لا يمكن جعل كل سبق في هذه

المجالات هو مصداق لمفردة السابقين المذكورة في الآية.

لأن هذه المفردة جاءت بحدود وأوصاف معينة، من هنا فهي تعد اصطلاحا قرآنيا، وكما اشار العلامة الطباطبائي الى أنّ الشخص السابق هو الذي تجلت فيه أسمى الخصال والمعارف والمعتقدات.

والقسم الثاني هي الروايات التي تحدثت عن "السابقون" من الناحية الزمانية والبعد التاريخي، كالروايات التي تعرضت لذكر يوشع وحبيب النّجار وشمعون الى جانب الامام علي عليه السلام واعتبرت أنّ هؤلاء هم مصاديق للسابقين، فقد لاحظت السبق والتقدم في الأيمان، واعتبرت ان ذلك هو الذي تنطبق عليه هذه المفردة وأن كانت قد صرحت ايضا أنّ الإمام علي عليه السلام من حيث المنزلة والمقام هو أفضل من الآخرين.

وأما الآحاديث الأخرى كالتي تعرضت لسلمان وصهيب وبلال كمصاديق لهذه الآية فهي ليست في مقام بيان وحصر نماذج ومصاديق السابقين بذلك، بل هي لاحظت من أتى الى الايمان أولا وسارع الى اتباع الرسول من الامم والأعراق المختلفة.

النتيجة:

أن الروايات الشارحة لمصاديق السابقين وأقوال المفسرين المختلفة التي تعرضت لها، كالأنبياء فقط، والانبياء وأوصيائهم عليهم السلام، والرسول محمد صلى الله عليه وآله بضميمة الامام علي عليه السلام، أوالامام علي عليه السلام لوحده، والامام علي عليه السلام واتباعه، والائمة لوحدهم، والمعصومون والشيعة، والشيعة فقط، والسابقون في الإيمان الى التصديق بالرسل من الأمم والشعوب المختلفة، وأهل القران، وأهل علّيين وكل من سبق في ميدان الايمان والعمل، هذه المصاديق كلها إما أنّها مقتبسة من النصوص والروايات أو مأخوذة عبر الاستعانة بقرائن واستعمالات أخرى لمفردة السابقين في القرآن الكريم، وفي هذه الدراسة تم البحث في مفردة "المقربون" أيضا باعتبارها محاكية ومشابهة في الاستعمال والمعنى لمفردة السابقين في

الايات (١٨ -٢٨) من سورة المطفّفين، والنتيجة أنّ (المقرّبون) هم أهل اليقين والإيمان الراسخ الامر الذي حال بينهم وبين المعصية والجهل والشك والتردد، والسابقين ايضا سيكونوا كذلك، لذلك تنحصر مصاديق هذه المفردة بالمعصومين والأولياء الالهيين، وتعرضت الروايات الأخرى الى طباع وسجايا وعقائد السابقين، أو إنها تتحدث عن السابقين الى الايمان والخير والعمل الصالح من الناحية الزمانية والتاريخة.

أهم المصادر :

(اختصرناها لطول القائمة):

- ابن الجوزي، ابوالفرج عبد الرحمن بن علي، زاد المسير فى علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ ق.
- ابن شعبه الحرانى، حسن بن على، تحف العقول، تحقيق: على أكبر الغفارى، قم: مؤسسة النشر الإسلامى، ١٤٠٤ق.
- ابن فارس، احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، محقق و مصحح: عبد السلام محمّد هارون، الطبعة الأولى، قم: مكتب تبليغات اسلامى حوزه علميه قم، ١٤٠٤ق.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمرو، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٩ق.
- ابو الفتوح الرازى، حسين بن على، روض الجنان و روح الجنان فى تفسير القرآن، تحقيق: دكتر محمد جعفر ياحقى -دكتر محمد مهدى ناصح، مشهد: بنياد پژوهشهاى اسلامى آستان قدس، ١٤٠٨ق.
- ابو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: محمد جميل صدقى، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠ق.
- الآلوسى، سيد محمود، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، تحقيق: على عبد البارى عطية، چاپ اول، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ق.
- بانوى اصفهانى، سيده نصرت

أمين، مخزن العرفان در تفسير قرآن، طهران: نهضت زنان مسلمان، ١٣٦١ش.

- البلخي، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣ق.
- البيضاوى، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، محقق: محمد عبد الرحمن المرعشلى، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربى، ١٤١٨ق.
- الثعلبى، ابو إسحاق احمد بن إبراهيم، الكشف و البيان عن تفسير القرآن، الطبعة الاولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ ق.
- الحسكانى، عبيد الله بن عبد الله، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الطبعة الأولى، طهران: مؤسسة طبع و نشر، ١٤١١ق.
- الحلي، حسن بن سليمان بن محمد، مختصر البصائر، تحقيق: مشتاق مظفر، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢١ق.
- الزمخشري، محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة الثالثة، بيروت: دارالكتاب العربى، ١٤٠٧ق.
- السيوطى، جلال الدين، الدر المنثور فى تفسير بالمأثور، قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفى، ١٤٠٤ق.
- الطبرى أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان فى تفسير القرآن، الطبعة الأولى، بيروت: دار المعرفه، ١٤١٢ق.
- الطوسى، محمد بن الحسن، التبيان فى تفسير القرآن، بيروت: دار إحياء التراث، بلا ت.
- فضل الله سيد محمد حسين، تفسير من وحى القرآن، الطبعة الثانية، بيروت: دار الملاك للطباعة و النشر، ١٤١٩ ق.
- القرطبى، محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الاولى، طهران: انتشارات ناصر خسرو، ١٣٦٤ش.

- القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تحقيق: سيد طيب الموسوى الجزايرى، الطعبة الرابعة، قم: دار الكتاب، ١٣٦٧.
- الكاشانى، ملا فتح الله، تفسير منهج الصادقين في إلزام المخالفين، طهران: كتاب فروشي محمد حسن علمى، ١٣٣٦ ش.
- المفيد، محمد بن محمد، الأمالي، تحقيق: حسين استاد ولى و على امبر غفارى، قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، ١٤١٣ق.
- مكارم الشيرازي، ناصر، تفسير نمونه، الطبعة الأولى، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٤ق.